الذاكرة القرآنية

بحث في مفاهيم نفسية واجتماعية وتاريخية

أ. د. حسن كريم ماجد الربيعي

جامعة الكوفة / كلية الفقه

Quranic memory

(Research in psychological, social and historical concepts)

Prof.Dr. Hassan Karim Majid Al-Rubaie

University of Kufa / College of Jurisprudence

Email: hasank.majed@uokufa.edu.iq

ملخص البحث

بعد هذه الجولة في مفاهيم القرآن حول الذاكرة ومشتقاتها يتبين لنا بعض النتائج كما يأتي:

١- يجب تحفيز الباحثين على الخوض في مثل هذه الدراسات المهمة لفهم التعايش مع الآخر.

٢- يؤكد القرآن الكريم في آياته على حفظ الذاكرة القرآنية ، وعدم مخالفتها في الشعور الكوني مع الآخر المختلف .

٣- يؤكد هذا البحث على المسلمين في وقتنا المعاصر استعادة الذاكرة القرآنية الجمعية النفسية ، والاجتماعية ، والتاريخية لخلق أمة متحضرة ومتطورة.

٤- وفي هذا البحث تنفي الذاكرة القرآنية حالات التشدد والتطرف التي تعتبرها من أنواع الفساد في الأرض.

٥- الذاكرة القرآنية عنوان مفتوح على العالم ، وهي الذاكرة المحفوظة وما يصدر من المسلمين اليوم هي ذاكرة أخرى متشظية وذاكرة منسية تماماً في خطوطها الأساسية.

Abstract

After this tour of the concepts of the Qur'an about memory and its derivatives, some results become clear to us as follows:

1- Researchers should be motivated to delve into such important studies to understand coexistence with the other.

2- The Holy Qur'an emphasizes in its verses the preservation of the Qur'anic memory, and not contradicting it in the cosmic feeling with the different other.

3- This research emphasizes on Muslims in our contemporary time the restoration of the Quranic collective psychological, social, and historical memory to create a civilized and developed nation.

4- In this research, the Qur'anic memory negates cases of extremism and extremism, which it considers among the types of corruption on earth.

5- The Qur'anic memory is an address open to the world, and it is the preserved memory and what is issued by Muslims today is another fragmented memory and a memory completely forgotten in its basic lines.

المقـدمة

هذا البحث بعنوان: (الذاكرة القرآنية بحث في مفاهيم نفسية واجتماعية وتاريخية)، يتناول مقاربة في دراسات وسياسات الذاكرة المعاصرة والتي أصبحت اليوم أهم الدراسات في العالم بسبب التقارب العالمي، وظهور مصطلحات العولمة في الاقتصاد والثقافة ونقد الأفكار، وتبادل الآراء والاهتمام بالذاكرات العامة ، والتعدد بين الأفكار والأديان ، والثقافات واحياء دراسات الذاكرة في أغلب الشعوب المعاصرة مما سبب في بعض الاحيان الصراعات بين هذه الذاكرات وخاصة في الدول المتعددة والمبتلية بذاكرة مختلفة .

وسبب اختياري لهذا العنوان هو اعتقادي بأنّ الذاكرة التي يريدها القرآن الكريم هي ذاكرة ايجابية تتجاوز الجزئيات المحلية، فأردت بيان مقارباتي لتأسيس الذاكرة في القرآن عبر المفاهيم التي عرضها النص القرآني كخطاب إنساني وإيماني للبشرية جمعاء، وكذلك إنّ دراسات الذاكرة شحيحة جداً سواء في المؤلفات العربية أو المترجمة.

لم أجد حسب تتبعي دراسات جادة عن الذاكرة القرآنية واستنطاق نصوص القرآن للخروج بدراسة وافية سواء في الذاكرة الاجتماعية ، أو النفسية أو الفلسفية ، أو الأدبية أو التاريخية إلاّ بعض الدراسات المقتصرة على بيان مفاهيم القرآن من غير مقاربتها مع الدراسات المعاصرة.

تناولت هذ ه الدراسة عدة مباحث منها تمهيد في دراسات الذاكرة في الفكر المعاصر، وهو تحقيب تاريخي لمثل هذه الدراسات ، أمّا المبحث الأول فقد تناول موضوع مفاهيم الذاكرة في القرآن ، واستعراض لنصوص الذاكرة من (الذكر والتذكر والذكرى والتذكرة) وغيرها، والمبحث الثاني كان في التأسيس المفهومي للذاكرة النفسية والاجتماعية ، والتاريخية ورؤية القرآن الكريم للذاكرة والنسيان والتاريخ .

عاني البحث من قلة المصادر والمراجع في هذا الموضوع ؛ لذلك حاولت البحث في مختلف مصادر المعرفة لعلّي اطلع على بحوث جزئية في طيات كتب المعرفة التاريخية والنفسية والاجتماعية والكتب المترجمة أيضاً كانت قليلة فضلاً عن العربية، فكان كتاب (الذاكرة في الفلسفة والأدب) لميري ورنوك ذات أهمية كبيرة في هذا البحث وخاصة في التمهيد، وكذلك (كتاب الذاكرة، التاريخ، النسيان) لريكور من الكتب المهمة في هذا

البحث ، أمّا المؤلفات العربية فقد اعتمدت على كتاب (الذاكرة والتاريخ) لوجيه كوثراني وكتاب (استعمالات الذاكرة) لنادر كاظم وكتاب (المعرفة التاريخية) لقيس ماضي فِرّو.

أتمنى أنْ أكون قد أعطيت صورة عن أهمية الذاكرة في القرآن الكريم وأهمية استعادة هذا الماضي بنصاعته وسماحته وعفوه ، وحبه للآخرين من مختلف التوجهات والأديان والملل لرؤيته الكونية المتكاملة ؛ لأنّ هذا النص من خالق هذا الخلق والحمد لله ربّ العالمين.

تمهيد

دراسات الذاكرة في الفكر المعاصر

تعدّ دراسات الذاكرة مهمة جداً في الفكر المعاصر إذ يربطها البعض في دراسات علم النفس، فالذاكرة (Memory) هي حفظ الذات لنتائج تفاعلها مع العالم الخارجي مما يجعل في امكانها ترديد واستخدام هذه النتائج في نشاط لاحق وتصنيفها وربطها في أنساق الفكر ، وترتبط بالتفكير ايضا ، ويتكون محتوى الذاكرة الأولية غير الكلامية من نماذج ذهنية للواقع تكونت عبر العلاقة المباشرة بين الذات والموضوع ، وفي الكلامية تثبت نماذج للعلاقات الموضوعية بين الأشياء[١].

هذه هي الذاكرة النفسية وهي تعود إلى الذهن تلقائياً أو إرادياً وكل ما تقدمه لنا الذاكرة، وقد عبر عنها مراد وهبة بالذكرى[٢].

وجاء تعريفها في موسوعة لالاند : بأنها وظيفة نفسية قوامها معاودة إنتاج حالة وعي سابقة مع هذه السمة التي يعترف بها الفاعل بصفتها هذه ، أو هي كل حفظ لماضي كائن حي وهي وظيفة عامة للجهاز العصبي ، ليست الذاكرة النفسية سوى الشكل الأرفع والاعقد للذاكرة، أمّا مفهوم ذكرى هذا المعنى متداول في اللاتينية وهو نادر في الفرنسية[٣]، وهو كثير في النصوص القرآنية بعبارة الذكرى ومشتقات الفعل نفسها [٤]، وتشير مفاهيم

(١) روزنتال ويودين، الموسوعة الفلسفية وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، ترجمة: سمير كرم، مراجعة: صادق جلال العظم وجورج طرابيشي، (بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٦م)، ص٢٢٠.
(٢) مراد وهبة، المعجم الفلسفي، القاهرة: دار الثقافة الجديدة، ١٩٧٩م)، ص٢٠٣.
(٣) لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية، تعريف: خليل أحمد خليل، (بيروت: عويدات للنشر والطباعة، ٢٠٠٨م)، ج٢، ص٧٨٣.
(٤) للمزيد ينظر: الأنعام / ٦٨، الدخان / ١٣، عبس/ ٤، الفجر / ٢٣.

الذكرى إلى الذاكرة النفسية والدينية ، والاجتماعية الايجابية دون السلبية.

وقد تتداخل مفاهيم عدة مع الذاكرة إذ تتداخل وظائف الذاكرة والمخيلة ، وربما تصبح غير قابلة للتمييز[١]، ولكن من الأمور المتفق عليها أنها ظاهرة عقلية ومن يكتب عنها لابد أنْ يعرف الدماغ الذي هو جزء من الجسد وعن العقل أيضاً[٢]، ومنه يتضح ترابط عدة مفاهيم تدور حول الذاكرة، العقل، الدماغ، المخيلة، عملية التذكر، الهوية الشخصية، الهويات، الذهنيات، الوعي وغيرها مما يقرب من ذلك.

والشائع اليوم هو التفكير بالذاكرة كنظام استرجاع، وقد استعملت كلمة ذاكرة بالفعل في الحاسب الالكتروني بمعنى قريب جداً من المعنى الذي نقصده، ودخل هذا الاستعمال في الملحق الثاني لقاموس اوكسفورد عام ١٩٧٥[٣].

وتشير ميري ورنوك في كتابها المهم (الذاكرة) إلى أهمية التذكر في بداية هذا الكتاب فالذاكرة عندها يجب أنْ تتضمن إدراكاً بحدوث تجربة تتعلق بالتذكر[٤].

أمّا الفلاسفة فقد قدموا تفسيرات مختلفة لطبيعة الذاكرة، فقد شغل التجربيون أنفسهم منذ القرن السابع عشر وما بعده بدراسة الذاكرة كما نجربها نحن في حياتنا الفعلية مما اضطروا إلى فصل الذاكرة عن القدرات العقلية ، وانصب اهتمامهم على الذاكرة الواعية أي على التذكر[٥].

وقد أشار النص القرآني إلى معنى الذكر والذكرى والتذكر ومشتقاتها ، ربما هي إشارة إلى الوعي الموضوعي الحسي أي إلى جهاز الدماغ والعقل والعاطفة كأجهزة تتم بها عمليات الاستعادة الايجابية أو السلبية ويصطبغ بها فكر الإنسان ، وسلوكه النفسي والاجتماعي.

وتداول العلماء التذكر فقد نقل عن أرسطو بأنّ التذكر يكون بمثابة الصورة أو الانطباع، وجيمس مل بأنّ فكرة الاستذكار هي أقرب إلى الإحساس منها إلى أي شيء

(١) ميري ورنوك، الذاكرة في الفلسفة والأدب، ترجمة: فلاح رحيم، (بيروت: الكتاب الجديد، ٢٠٠٧م)، ص٧.
(٢) المرجع السابق، الذاكرة، ص٩.
(٣) ورنوك، الذاكرة، ص١٩.
(٤) سورة ص الآية ٢١.
(٥) المرجع نفسه، ص٢٩.

آخر، وعبر عنها هوبز بأنّها نوع من الإدراك الحسي واستعمل ديفيد هيوم كلمة انطباع إشارة إلى التجارب الحاصلة من الإدراك الحسي، ومن فلاسفة القرن العشرين يعدّ برتراند رسل أكثرهم حرصاً على تعقب خطوات هوبز ولوك وهيوم في تفسيره للذاكرة، كتب رسل في تحليل العقل: تتطلب الذاكرة صورة[١]، وفي الحقيقة هناك جدل حول الصور المتذكرة وبين عدمها بين فلاسفة الغرب وأنّها تولد المعرفة بالاشياء سواء كانت ماضية قديمة ، أو حاضرة ، أو صورة ذهنية متعلقة بعوامل مستقبلية.

ولأهميتها فقد نالت العناية والعمق من المفكرين والباحثين ؛ لأنها تلعب دوراً مركزياً في حياة الإنسان النفسية ، والاجتماعية فإنّها أساس سيادة هذا الكائن العاقل على ساحة الموجودات كما تعتبر مصدر خصوصيته وتفرده[٢]، وشكلت الذاكرة موضوع الدراسات في علم النفس ولعل بياجيه يعد من أوائل من دشّنوا هذه الحملة الاستكشافية لتقصي عوالم العلبة السوداء عبر تساؤله عن كيفية التفكير[٣]، وتميزت دراسات الذاكرة بالتعدد وذلك لغموض المفهوم من جهة ولكونها لم تكن موضوعاً لعلم النفس، ودراسات الذاكرة عملية معرفية صعبة ومعقدة ترتبط بعمليات الانتباه والإدراك والتخزين وغيرها[٤].

وأجريت مقاربات معرفية عن طريق المماثلة مع الحاسوب ومقاربات اقترانية عبر الاعتماد على دراسات الأعصاب وليس على الحاسوب[٥].

هل أنّ الذاكرة هي صور الماضي أو أنّها نوع من المعرفة؟، لا تكون الصور مصاحباً جوهرياً رغم أنها تكرر بكثرة؟ فإذا كان الجواب بأنها معرفة ولكنها معرفة من نوع خاص لكونها تتعلق بالماضي[٦]، ولكن يمكن أنْ تترسخ في ذاكرة فرد أو أفراد ذاكرات حالية أو مستقبلية زرعتها الثقافة العامة لكل جنس بشري تتميز عن غيرها عن طرق مختلفة في التعبير الصوري ، والإشارات الدالة على رسوخ مفاهيم قد تكون غير منفكة عن الفرد

(١) للمزيد ينظر: ورنوك، الذاكرة، ص٣٠ – ٣٧.
(٢) ابن عيسى زغبوش، محاضرات، موقع علم النفس المعرفي الالكتروني.
(٣) زغبوش، موقع علم النفس المعرفي.
(٤) المرجع نفسه.
(٥) المرجع نفسه.
(٦) ورنوك، الذاكرة، ص٦١.

الخاص أو الفرد العام البشري.

والذاكرة الماضوية قد تكون واقعية ، أو غير واقعية أكانت خاصة أم كانت عامة، وليست قد جربت أو لا ، فهي معرفة بالماضي مستمدة من صور وانطباعات وحوادث واخبارات واعتقادات ويقينيات وغيرها مما ترسخ في المخزون الذهني البشري، وأقوى الذاكرات الذاكرة الدينية والعرقية والمناطقية والثقافية وغيرها.

ولكن تبقى الذاكرة الدينية هي الأقوى في المسيرة البشرية ؛ لأنّ فكرة الدين لها المساس بالروح النابضة والجسد الحامل لها بكل تجاربه وأفكاره ومنعطفات مشاعره وصوره المحمولة مهما كان الإنسان قد تجاهل الماضي وحاول نسيانه فاستحضاره وانتظاره من هواجس ذاكرة، الإنسان وربما يطلق على الإنسان جنس من الكائنات التاريخية فهو يستحضر الماضي وينتظر المستقبل، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾[1].

هذا التذكير لسلسلة من الذاكرات ذات المصدر الواحد كذاكرة دينية تبين النظرية الكونية وأهدافها ، وغاياتها الكبرى ، وتعد كمنطلق تفكيري في المسارات الاجتماعية رغم تغيرها الواقعي فهي ذاكرة دينية وعلمية ، وتاريخية مستحضرة عند المعتنق لها من الماضين ولها سراية على الحاضرين وعلى الذين يلونهم في الحقب التاريخية إلى النهاية.

إنّ فعل التذكر يجري في الماضي أو التاريخ الماضي ، أو الذكريات الشخصية الخاصة أو العامة ، أو جزء الحدث لانطباع صور معينة محكية أو مرئية ومخزونة في ذلك الصندوق محل الاستعادة ؛ ولذلك كانت حاجة الفرد والشخصية لمثل هذه الاستعادات كحاجة المجتمع والأقوام في اثبات الهويات المتنوعة .

ويمكن أنْ تقنن الذاكرة بقوانين وأخلاقيات تعطي الهوية لأصحابها وتكون ملزمة بقوانين كمذابح الحروب أو المقابر الجماعية ، أو التهجير القسري أو الحجز البشري وغيرها من الممارسات غير الأخلاقية ، والتعسفية، فذاكرة الفرد أو الجماعة المتضررة من صراعين ملزمة أو يجب حفظها وتقنين ذلك في قانون حفظ مثل هذه الذاكرات، ونقل عن بعض القوانين التي سنتها بعض الدول الغربية في تجريم أفكار الواقع الحاصلة والمشهورة[2].

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٥.

(٢) نادر كاظم، استعمالات الذاكرة في مجتمع تعددي مبتلى بالتاريخ، (المنامة: مكتبة فخراوي، ٢٠٠٨م)، ص٢١.

تلاحظ اليزابيث انسكومب أنّ راسل كان قد اقترح قبل وقت طويل وعلى نحو تجريبي نوعاً خاصاً من السببية تقتصر فعاليته على حالة الذاكرة ، أو إنّه بالأحرى وجد أنّ الموقف يستحق خلق مصطلح خاص هو سببية تقوية الذاكرة ليغطي العلاقة بين حدث الماضي وذكرى حالية عنه[١]، إنّ أهمية الذاكرة للأفراد وللجماعة تصطبغ بالهوية وليست هي مجرد ذكرى بل إنّها سبب الديمومة الفكرية لكل طرف من أطراف الوجود الإنساني، ولكنّها قد تكون سبباً للصراعات والنزاعات في حالة الاعتداء الفكري أو العملي عليها، لذلك تأتي أهمية وخطورة الذاكرة إنْ لم تقنن بالحفاظ عليها بالدستور والحفاظ كذلك على كل الذاكرات والتعامل معها بحذر، حاول القرآن الكريم أنْ يعزز ذاكرة مؤسسة على الجماعة فهي تعاونية وإنسانية ويعطيها أهمية تاريخية ، وتاريخانية وثقافية وهوية متميزة .

ويرى بعض أنّ الخطاب المسيحي مثلاً يزعم تأسيس الخطابات الأخرى بإقامة صلة مع التنزيل، إنّ كل خطاب مؤسس يُنظر إليه في صلته الصراعية مع الخطابات الأخرى ويجند جماعات خطابية خاصة تتولى ترسيخ ملفوظاتها في الذاكرة[٢].

بل إنّ تكرار الفعل العبادي لكل الديانات هو تعزيز وتنشيط فعل الذاكرة الدينية حتى باختيار الرموز المؤثرة، وفي ضوء ذلك توارثت الأجيال الأفعال والرموز ذاكرة أجدادهم وسعوا إلى ترسيخها إلى الأجيال الآتية والتي سوف تأتي فيما بعد إلى ما شاء الله.

إنّ البحث عن الهوية في دفاتر الماضي ، ورفع ودفع غباره هي الشغل الشاغل للذاكرة ومحاولة إبرازها كتاريخ مجيد لفرد وشخص وأمة وجماعة ما، وهو ما يسمى ربما بإعادة الوعي التاريخي كسجل يحفظ الذكرى والذكريات والهويات الشخصية المحزنة والمفرحة لا تنفصل عن الذات أبداً.

ولذلك ربط جون لوك في محاولته لتعريف مفهوم الشخص أو الشخص نفسه بالرجوع إلى الذاكرة أو الوعي الممتد[٣].

(١) ورنوك، الذاكرة، ص٧٥.

(٢) دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م)، ص٢٦.

(٣) ورنوك، الذاكرة، ص٩٣.

يعبر بول ريكور (١٩١٣ – ٢٠٠٥) عن الذاكرة في كتابه المهم (الذاكرة، التاريخ، النسيان) بأنّها تتجه نحو موضوع الذاكرة، الذكرى الماثلة أمام الذهن، ثم تعبر مرحلة التماس الذكرى، والسوابق والتذكر، ثم نمر من الذاكرة المعطاة والممارسة إلى الذاكرة المتفكرة، ذاكرة الذات عينها[١]، وهذه المفردات تناولها النص القرآني غير مركّز عليها في أبحاثنا القرآنية.

وفي حدود علمي لا وجود لبحث في الذاكرة النفسية والاجتماعية مستوحى من النص القرآني على المستويين الأكاديمي والديني فالنص القرآني يشيد بالذكرى بورود مفهوم فذكّر، يذكّر، الذكرى، يتذّكرُ، الذكر، وهذه حالات ركز عليها القرآن بمشتقاتها اللغوية، كأنّه يرسم التاريخ الذي لا ينفك عن معتنقيه ، أو هو هوية غير منفصلة ويحدد خطورة الذاكرة في صراعها مع الآخر وهو ما نلمسه اليوم من صراع الذاكرات في العولمة الجديدة عولمة البراجماتية النفعية المحصورة بالذات ، فغاب الوعي الجمعي وحب التعاون في الذاكرة القرآنية ﴿وَتَعَاوَنُوا﴾.

يميز المؤرخ الفرنسي جاك لوغوف بين نوعين من التاريخ:

١ – تاريخ الذاكرة الجماعية.

٢ – تاريخ المؤرخين.

الذاكرة الجماعية تبدو اسطورية بشكل أساسي، مشوهة تخلط الأزمنة، ولكنها على كل حال هي حالة المعيش للعلاقة التي لا تنتهي بين الماضي والحاضر ومهما يكن، فإنّه من المرغوب منه أنْ يقوّم الخبر التاريخي الذي ينتجه المؤرخون المحترفون بتصحيح التاريخ التقليدي المغلوط ، أنّ التاريخ يُضيء الذاكرة ويساعدها على تصحيح اخطائها[٢]، وفي محاولة للتمييز بين مستويين:

١ – البحث التاريخي الذي يتوخى العلمية والموضوعية.

(١) بول ريكور، الذاكرة، التاريخ، النسيان، ترجمة: جورج زيتاني، (بيرت: دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٩م)، ص٢٨.

(٢) وجيه كوثراني، الذاكرة والتاريخ في القرن العشرين الطويل دراسات في البحث والبحث التاريخي، (بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٠م)، ص٢٦.

٢- تعبيرات الذاكرة الجماعية التي تتبدى في الرواية ، والثقافة الشفهية ، والعقلية والذاتية.

فالذاكرة غالباً ما تخترق الخطاب التاريخي مهما اتسعت وتحصنت، فالمؤرخ متجاذب كما يقول مارك بلوخ بين حركتين:

١- الذهاب إلى الماضي.

٢- الإياب إلى الحاضر.

وبتعبير آخر متجاذب بين ذاكرة ماضية ومخيلة مستقبلة ، والحاضر يقف بينهما كنقطة توازن أو نقطة ارتكاز[١].

وفي ضوء ذلك ترابطت الدراسات في الذاكرة مع علم التاريخ ترابطاً لا انفلات منه؛ لأنّ ما مخزون في الذاكرة هو الماضي وسردياته والتاريخ يصنع الذاكرة ويدعمها بالأحداث والقرارات ، والمواقف وتستقبل الذاكرة المواقف والتحولات والصيرورات الخطيرة فترسخ كذاكرة دينية أو قومية ، أوعرقية أو غيرها من الرواسخ الثابتة في فرد أو مجتمع (جماعة) أو أمة تبرز حضارياً أو تنهار.

صنف كوثراني الكتابة التاريخية وفقاً للسمة الايديولوجية الغالبة في نصوصها إلى ثلاثة اتجاهات:

١- الاتجاه القومي.

٢- الاتجاه الماركسي.

٣- الاتجاه الإسلامي.

وهذه الاتجاهات تنتظم في مدرسة تاريخانية ترى في حركة التاريخ تطوراً غائياً، وفي الكتابة التاريخية وظائفية تعينها حتميات وسببيات أحادية، وهذه الاتجاهات على كل حال، لا تنفي صفة العلمية عن نصوصها، لاسيما إذا كانت العلمية تعني جهداً في التقميش والتحقيق والبحث[٢].

(١) كوثراني، الذاكرة والتاريخ، ص٢٦.

(٢) كوثراني، الذاكرة والتاريخ، ص١٢.

تميز الاتجاه الإسلامي بحتميات نصية أصبحت من ذاكرة الماضي والحاضر والمستقبل بتفاعلية ثقافية اجتماعية وظفت في أطر فكرية وسياسية نفعية في أغلب الحقب التاريخية، ولا زالت توظف هذه الحتميات وإنْ كانت غير مقصودة وهي عارفة بذلك، ولكن الظرف العام جعلها تبين بايديولوجية معروفة للتغلب على مصدر القرار بالقوة بدواع تسلطية ، وعدائية لطائفة أو فرقة وإنْ قوضت البناء الإسلامي برمته ومسحت الذاكرة الأولى لخلق ذاكرة جديدة متقاطعة مع الذاكرة النصية للتاريخ الإسلامي في نظرتها إلى نهاية التاريخ البشري.

إنّ الصورة العالقة في التاريخ وأبعاده هي صورة الحتمية المستقبلية، فالذاكرة القرآنية هي ذاكرة خطابية وبعض أنواع الخطاب له علاقة متميزة مع الذاكرة، وهكذا فإنّ الخطابات الأدبية والدينية والقانونية مجعولة لاستثارة كلام يستعيدها ويغيرها أو يحدّث عنها[1].

والحق أنّ الذاكرة القرآنية لم تكن خطابية محضة ، بل هي ذاكرة تفاعلية تخيف الوجه السياسي والذاكرات المعادية وتدعو إلى التأمل في التكوين الديني وأسسه عند الأديان المنبثقة من شعور متوحد في الأصل، إنّها نوع من السرد القيمي.

المبحث الأول

مفاهيم الذاكرة في القرآن

حاولت المعاجم والقواميس شرح مفاهيم المفردات القرآنية ، وتطورت الشروحات منذ البدايات المبكرة لشرح وتفسير مفردات النصوص القرآنية بما يسمى بالمعاني اللغوية الحاكية لحال اللفظ في الجملة أو النص أو عند العرب واستعمالاتهم، وهذا يوضح المعاني الواقعية في الحالة الاجتماعية والفكرية والنفسية آنذاك وصلاحية النص الديني لأحوال مختلفة أو متباينة حقيقة تقر بها الجماعة المسلمة وإنْ لم تقر بها الجماعة غير المسلمة ، أو بعض المفكرين في الشأن الديني وخاصة هذه النصوص التي وصلت إلينا وأصبحت ذاكرة المليار مسلم، وعُدّ أنّ النصوص تاريخية انتهى أمدها ولم تستوعب غير زمانها ، ذهب إلى ذلك الكثير من المستشرقين وتبعهم بعض المفكرين من المسلمين، ولكنّ الذاكرة القرآنية في نصوصها تبين مقاصدها في صناعة الإنسان وماضيه ، وبدراسة وبحث الذاكرة يتضح

(١) دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح، ص٨٥.

مدى ابتعاد المسلمين عن ذاكرتهم القرآنية أو التي أراد لها القرآن أنْ تكون كذاكرة تعبر عن الأهداف السامية والسماوية من النصوص الدينية أو محل الدين في فكر الإنسان.

فقد تناولت النصوص هذه المفاهيم – الذكر، الذكرى، التذكر، التذكرة – بدقة وقصد لجعلها في الفكر والتفكر كممارسة عملية ، أو عملية ماضوية تحيى الواقع وتقرر مصير المستقبل الإنساني ولا تنحرف عن أصل الذاكرة التي أرادها القرآن للمسلمين عامة ولغيرهم في نوع العلاقات الإنسانية العالية على كل توجه ؛ لأنّ أصل الذاكرة القرآنية التساوي بين الذكر والانثى بشكل مطلق في الحقوق والواجبات والاختلاف في الوظائف والممارسات ، وهذه الاطلاقية الزمانية ثابتة بخلاف الاطلاقات الاحوالية الشارحة لهذه الاطلاقية الزمانية في عصر من العصوركما صرح محمد مهدي شمس الدين في بعض كتبه.

حاول الراغب الاصفهاني في المفردات جمع آيات الذاكرة ومفرداتها واشتقاقاتها ، ومن ثم النصوص الدالة على هذه المفردات وكتابه لا غنى عنه في مجال البحث عن مفردات القرآن الكريم، فقد عبر عن الذكر بقوله: الذكر تارة يقال ويراد به هيأة للنفس بها يمكن للإنسان أنْ يحفظ ما يقتنيه من المعرفة وهو كالحفظ إلاّ أنّ الحفظ يقال اعتباراً باحرازه، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك قيل الذكر ذكران:

١ – ذكر بالقلب.

٢ – ذكر باللسان.

وكل واحد منهما ضربان:

١ – ذكر عن نسيان.

٢ – ذكر لا عن نسيانه بل عن إدامة الحفظ.

وكل قول يقال له ذكر، فمن الذكر باللسان قوله تعالى:

١ – ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾[1].

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠.

٢- ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾[١].

٣- ﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِي وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾[٢].

٤- ﴿أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾[٣].

٥- ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾[٤].

٦- ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[٥].

٧- ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾[٦].

٨- ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا﴾[٧].

٩- ومن الذكر عن النسيان قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾[٨].

١٠- ومن الذكر بالقلب واللسان معاً، قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللهَّ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[٩].

١١- ﴿فَاذْكُرُوا اللهَّ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾[١٠].

١٢- ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾[١١].

١٣- ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾[١٢].

(١) سورة الأنبياء الآية ٥٠.
(٢) سورة الأنبياء الآية ٢٤.
(٣) سورة ص الآية ٨.
(٤) سورة ص الآية ١.
(٥) سورة الزخرف الآية ٤٤.
(٦) سورة النحل الآية ٤٣.
(٧) سورة الطلاق الآية ١٠ – ١١.
(٨) سورة الكهف الآية ٦٣.
(٩) سورة البقرة الآية ٢٠٠.
(١٠) سورة البقرة الآية ١٩٨.
(١١) سورة الأنبياء الآية ١٠٥.
(١٢) سورة الإنسان الآية ١.

١٤- ﴿أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾[١].

١٥- ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾[٢].

١٦- والذكرى كثرة الذكر وهو أبلغ من الذكر، قال تعالى: ﴿رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[٣].

١٧- ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

١٨- التذكرة ما يتذكر به الشيء وهو أعم من الدلالة والإمارة، قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنْ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾[٥].

١٩- ﴿كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾[٦].

٢٠- ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ﴾[٧].

٢١- ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾[٨].

٢٢- ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[٩].

٢٣- ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِي﴾[١٠].

وذكر الراغب الأصفهاني آيات النسيان[١١]، والنسيان عنده ترك الإنسان ضبط ما استودع أمّا لضعف قلبه، وأمّا عن غفلة، وأمّا عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره

(١) سورة مريم الآية ٦٧.
(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٥.
(٣) سورة ص الآية ٤٣.
(٤) سورة الذاريات الآية ٥٥.
(٥) سورة المدثر الآية ٤٩.
(٦) سورة المدثر الآية ٥٤.
(٧) سورة إبراهيم الآية ٥.
(٨) سورة البقرة الآية ٢٨٢.
(٩) سورة البقرة الآية ١٥٢.
(١٠) سورة البقرة الآية ٤٠.
(١١) للمزيد ينظر: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ضبط: هيثم طعيمي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص١٨٥، ص٥١٣.

يقال: نسيته نسياناً، قال تعالى: ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[2].

ووردت مفردة الذكرى في عدة نصوص منها:

١- ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[3].

٢- ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾[4].

٣- ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾[5].

٤- ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾[6].

وورد الفعل يتذكر بالجمع في عدة مواضع مسبوقاً بلعلهم ،من مثل قوله تعالى : ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[7]، وقد تكررت عبارة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ في العديد من النصوص القرآنية[8]، وكذلك كلمة ﴿فَذَكِّرْ﴾[9] وأيضاً ﴿يَتَذَكَّرُ﴾[10]، و﴿يَذْكُرُونَ﴾[11].

هذه هي جملة المفردات القرآنية لمادة الذكر والذكرى، والذاكرة المرادة في أغلب هذه النصوص هي ذاكرة تكوينية في ضوء النفس والعلاقات والتاريخ ، وربما جمع القرآن الكريم في الذاكرة للتذكير بالماضي أي صناعة التاريخ والتاريخ الإسلامي كأمّة لها ذاكرة

(١) سورة المائدة الآية ١٤.
(٢) سورة الكهف الآية ٢٤.
(٣) سورة الأنعام الآية ٦٨.
(٤) سورة الدخان الآية ١٣.
(٥) سورة عبس الآية ٤.
(٦) سورة الفجر الآية ٢٣.
(٧) سورة البقرة الآية ٢٢١.
(٨) للمزيد ينظر: إبراهيم الآية ٢٥، القصص الآية ٤٣ و ٤٦ و ٥١، الزمر الآية ٢٧، الدخان الآية ٥٨.
(٩) ق الآية ٤٥، الطور الآية ٢٩، الأعلى الآية ٩، الغاشية الآية ٢١.
(١٠) الرعد الآية ١٩، طه الآية ٤٤، فاطر الآية ٣٧، الزمر الآية ٩، غافر الآية ١٣، النازعات الآية ٣٥، الفجر الآية ٢٣.
(١١) آل عمران الآية ١٩١، النساء الآية ١٤٢، الأنعام الآية ١٢٦ و ١٣٨، الأعراف الآية ٢٦ و ١٣٠، الأنفال الآية ٥٧، التوبة الآية ١٢٦، النحل الآية ١٣، الصافات الآية ١٣، المدثر الآية ٥٦.

جماعية وخصيصة لهذه الأمة غير المنفصلة تماماً عن الأمم والحضارات فقد ، تجتمع الذاكرات النفسية والاجتماعية في الأصول الأولى، وقد تلتقي في مفاهيم الاستحضار والانتظار كل الأمم والحضارات، والاستحضار والانتظار من مفاهيم الذاكرة الحضارية والتي ركز عليها القرآن الكريم كثيراً، فالاستحضار للماضي وذاكرته والانتظار للمستقبل وحتميته وإنْ تعددت الذاكرات بين الحضارات الدينية والمادية.

فوحدة الذاكرة الدينية في قوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِي وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾[2]، وهذا إشارة إلى التاريخ غير المنسي من أصول الذاكرة المودة للديانات السماوية سواء كان شخصياً أو اجتماعياً، أو حتى أممياً، فالنص القرآني يريد استرجاع الذاكرة المتشتتة إلى ذاكرة واحدة غارقة في الأصول الأولى ومنه ينشأ الأنس بالآخر والتعامل معه وفق الأصل الذي تبناه القرآن، فهو ذكر للأجيال السابقة واللاحقة لم ينشأ ليكون الصراع والكراهية مع قبله من الذاكرات ؛ لأنّه ذاكرتهم أيضاً منزوعة الزوائد والاضافات، فالنص القرآني يريد تأسيس ذاكرة واحدة كتاريخ مشترك للبشرية في بعده الماضوي وحتى في الاستحضارات الحالية ، والانتظارات المستقبلية كحياة مشتركة مبنية على الفعل الإنساني كما في سورة الإنسان، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾[3]، وهذا الإطلاق لا يختص بأحد دون آخر فهو يعمم ويشمل الجمع البشري في الماضي والحاضر والمستقبل ويؤسس ذاكرة موحدة للمجتمعات البشرية مما يتولد عليه الأصل المشترك والكلي مهما اختلف الشكل واللون، ولكن قد قادت القطعيات إلى تكاثر الذاكرات حتى أنّ التاريخ صار يُكتب من الآن فصاعداً تحت ضغطها حتى التاريخ العلمي، وهو تطور إلى تاريخ ما يسمى بالذهنيات[4].

وفي ضوء التذكر والذكر والذكرى والتذكرة كمفاهيم قرآنية تظهر الذاكرة النفسية

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٤.
(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٥.
(٣) سورة الإنسان الآية ١.
(٤) فرانسوا هارتوغ، تدابير التاريخانية الحاضرية وتجارب الزمان، ترجمة: بدر الدين عرودكي، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١٠م)، ص٢٠٩.

والاجتماعية والتاريخية والدينية، وفي ذلك عدة مفاهيم تحتاج إلى دراسات معمقة في فهمها وبيانها كدراسات اجتماعية تأسيسية، والسؤال الملح ماذا يريد القرآن الكريم في عرض هذه المفاهيم؟.

للإجابة على مثل هذا السؤال لابد من بيان أنّ القرآن حدث مهم في تاريخ البشرية يؤسس لهوية ومسار وذاكرة لا يمكن أنْ تكون جزئية بل مستحيلة بقاعدة اللطف الإلهي ولقوله تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾[1]، وله امتدادات للأنبياء والرسل في التاريخ البشري المسبوق.

ومن هنا يمكن القول أنّ الذاكرة القرآنية وخاصة الروحية هي واحدة تلتقي في الروحانية والفعل العبادي والنفسي في حالات الصفاء والتذكر، ولكن الفكر المادي منع التذكر وقنن التفكير به بأنّه تفكير بالمجهول غير الخاضع للحس والتجربة فمنع بذلك التلاقي الحضاري وأحدث الفكر الصراعي، ومع أنّه مادي بحت فإنّ أغلب حروبه تغذى بالفكر الروحي في إذكاء جذوة الصراع والانتصار الداخلي والخارجي (الحروب الأوربية المميتة ومنها الأولى والثانية)، وفي عصرنا بلغ الذروة في توظيف الفكر الديني في أحداث الصراعات الداخلية والخارجية وخاصة الفكر التدميري في صناعة التدمير والكراهية بين المسلمين أنفسهم ومع غيرهم ، وهو مخالف لأصول الذاكرة الدينية بل لفكرة الدين أصلاً، أمّا النص القرآني فيثير ذاكرة خاصة ومهمة جداً هي حب الخير، ونقض الفساد ومحاربته كمفهوم خطر جداً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[2]، وهذا الخلط التأويلي بين مفهوم الفساد ومفهوم الإصلاح، والإصلاح أصل والفساد طارئ، والإصلاح يأمر به العقلاء والفساد يُنهى عنه، ولكن ربما أنّ العامل بفكر ما يفسره أو يأوله على أنّه إصلاح وهو لا يشعر بأنّه فساد وافساد، قال تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾[4]، يؤكد

(١) سورة البقرة الآية ٢٢١.
(٢) سورة البقرة الآية ١١.
(٣) سورة البقرة الآية ١٢.
(٤) سورة البقرة الآية ٢٧.

القرآن على أنّ ذاكرة الإصلاح غير ذاكرة الفساد على أنّه إصلاح، وهنا يُشعر إنّ المفسدين يحسبونه إصلاحاً بتعمد أو لا شعور، وهذا ما يرفضه الدين كفكرة أصلها الإصلاح النفسي والاجتماعي.

يؤكد مؤيدو المدرسة الوضعية أنّ التذكر الشخصي يشبه إلى حد بعيد كشف الماضي التاريخي الذي يقوم به المؤرخ ، فالتذكر في نظرهم بوابة إلى التيقن بوجود ماضي تاريخي يمكن كشف بعض أجزائه[١]، فتكرار فعل التذكر في آيات كثيرة إشارة إلى كشف الماضي وأخذ العبرة والتحفظ ، والحذر والتعقل كلها مفاهيم مستفادة من فعل التذكر، وقد تكرر كما مر نهايات الآيات بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ و﴿فَذَكِّرْ﴾ و﴿يَتَذَكَّرُ﴾ و﴿يَذْكُرُونَ﴾[٢].

هذه المفاهيم القرآنية تشير إلى أهمية الاستعادة الماضوية والوقوف عندها وإنْ كانت نسبية من دون معرفة كاملة بالتفاصيل إذا كانت ذاكرة تاريخية، قال تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[٣] أو ذاكرة دينية لاستعادة الشعور الديني، قال تعالى: ﴿رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[٤]، وهكذا في إشاراته إلى الذاكرة النافعة ، والذاكرة الضارة ، والذاكرة الشخصية، والذاكرة الوحدوية ، والذاكرة التاريخية وغيرها من الذاكرات المتنوعة والتي تعدّ هويات وسمات مميزة لأهداف خلق الإنسان في مسار تكونه وحياته الخاصة والعامة وعلاقاته العامة والخاصة أيضاً.

في حقبة القرن التاسع عشر، مال تطور علم متخصص للتاريخ (كتابة التاريخ) إلى إبراز أهمية التمييز بين الذاكرة الذاتية (التي تعني بالحياة الداخلية) ، والذاكرات الاجتماعية لتجمعات اجتماعية أوسع (تأتي في مقدمتها الأمم)، وعمل الذاكرة قد يؤدي وظيفة تاريخية، أو قانونية ، أو علاجية ولها وظائف غير ذلك كثير[٥].

(١) قيس ماضي فِرّو، المعرفة التاريخية في الغرب مقاربات فلسفية وعلمية وأدبية، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٣م)، ص٣١.
(٢) تمت الإشارة إلى الآيات في هامش ص١٦.
(٣) سورة الزخرف الآية ٤٤.
(٤) سورة ص الآية ٤٣.
(٥) طوني بينيت ولورانس غروسبيرغ وميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات

المبحث الثاني

التأسيس المفهومي للذاكرة النفسية والاجتماعية والتاريخية

يؤسس القرآن الكريم للذاكرة وأقسامها ، ويجعل التذكر والذكرى للنفع والانتفاع بإعادة الهوية المصاغة ؛ لأنّ النسيان متعلق بالذاكرة كشيئين بينهما علاقة فالتذكر يخضع لمسح أجزاء من التذكر الماضوي للأشياء المادية والمعنوية ، وقد ينسب النسيان للشيطان: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1]، ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾[2]، ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[3]، وقد لا يذكر الشيطان مع النسيان فهو النسيان الطبيعي الذي يجري عادة عند الكبار في حالات ضعف الذاكرة إلاّ الذاكرة المستديمة المحفوظة كالنقش، ودائماً تحفز هذه الذاكرة لغرض الاستعادة في حالات الانحراف ، أو التغاضي ، أو التماهي ، أو الطغيان أو غيرها من حالات النسيان أو التناسي، والنسيان حالة مُغتفَرة في القانون الديني غير مُغتفَرة في القانون الوضعي، وقد بحث بول ريكور في كتابه المهم (الذاكرة، التاريخ، النسيان) ذلك في الجزء الثالث حول النسيان مصرحاً : بأنّ النسيان والغفران يدلان منفردين أو مجتمعين على أفق كل بحثنا منفردين ؛ لأنّ كلاً منهما يعود إلى إشكالية متميزة بالنسبة إلى النسيان، إشكالية الذاكرة والوفاء للماضي، بالنسبة إلى الغفران إشكالية الذنب والمصالحة مع الماضي ويؤكد ريكور على أنّ النسيان والذاكرة والتاريخ هما مفاهيم أساسية ، ولكنّ النسيان يظل التهديد المقلق[4]، وهذا البحث مهم جداً لا غنى للباحث عنه، في هذا الموضوع الذي تكلم فيه عن النسيان ومحور الآثار والنسيان وثبات الآثار ونسيان الاستذكار، والاستعمال وإساءة الاستعمال والنسيان ، والذاكرة المعاقة والنسيان ، والذاكرة المتلاعب بها والنسيان المأمور، العفو العام.

يؤكد القرآن الكريم على الذاكرة بما تحمل من آليات الحاجة إلى الاستذكار النافع سواء كان الشخصي (الفردي) أو النوعي (المجتمعي) أو حتى مفاهيم جذرية في كلامه عن

الثقافة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١٠م)، ص٣٤٤.

(١) سورة الأنعام الآية ٦٨.

(٢) سورة المائدة الآية ١٤.

(٣) سورة الكهف الآية ٢٤.

(٤) ريكور، الذاكرة، ص٦٠٢.

شهادة الاثنين من النساء ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾[1]، ﴿فَمَا لَهُمْ عَنْ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾[2] يمكن أنْ تكون ذاكرة قانونية.

فالذاكرة والتذكر والذكر أفعال لمقاومة حالات النسيان المختلفة لذلك تكرر ﴿فَاذْكُرُوا﴾ ﴿وَذَكِّرْهُمْ﴾ ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ ﴿وَذَكِّرْ﴾ ﴿ذِكْرُكُمْ﴾... إلى الخ.

إنّ هذا التأسيس المعرفي لهذه المفاهيم تعد بُنى تحتية للثقافة الإسلامية في مختلف المجالات المعرفية النفسية، والاجتماعية التاريخية.

بل هل أسست الذاكرة المعرفية للفكر الإسلامي التراثي والمعاصر لثبات مثل هذه الأسس والحاجة الماسة إليها في كل عصر.

فلو عاد المسلم إلى مثل هذه الذاكرات القرآنية، أو لو تبنت الدول الاستعمالات القرآنية لمفاهيم مؤسسة للذاكرة القرآنية لنتج عنه عدة أجيال مختلفة عما هي عليه من أجيال متصارعة لا تفهم من ذاكرة القرآن إلاّ القليل أو الحفظ السطحي للألفاظ فقط بلا وعي.

اهتم علماء المدرسة الغربية بدراسات الذاكرة وموضوعها، مثل برتراند راسل (B.Russell) (١٨٧٢ - ١٩٧٠) في (Representational Theory of Memory) التي ترى أنّ التذكر هو استدعاء، أو إعادة صورة إلى الذهن تتمثل بالوعي في الزمن الحاضر، ونسبت هذه النظرية إلى ديفيد هيوم (D.Hume) (١٧١١ - ١٧٧٦) وجون لوك (J.Locke) (١٦٣٢ - ١٧٠٤) وراسل لا يرى فرقاً جوهرياً بين صور الذاكرة وصور التخيل إلاّ من جانب واحد هو الشعور بأنّ صور الذاكرة تعود إلى شيء قد حدث فعلاً، ومن دون هذا الشعور فهي تشكل تخيلاً لا أكثر[3]، ونقد النقاد هذه النظرية ودعا توماس ريد (T.Ried) (١٧١٠ - ١٧٩٦) إلى نظرية الذاكرة المباشرة والتي اهتم بها النقاد وقورنت بنظريات أخرى[4]، وهذه النظرية تعتمد على أنّ الذاكرة لها القدرة والشعور بمعرفة فورية عن أشياء في الماضي إلاّ أنّ الشعور لا يزودنا عن الأشياء إلاّ إذا كانت للأشياء وجود في

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٢.
(٢) سورة المدثر الآية ٤٩.
(٣) قيس ماضي، المعرفة التاريخية، ص٣٢.
(٤) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

الحاضر[1].

وربما تقارب النظرية التمثيلية ما ورد في النص القرآني: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾، والنص القرآني شيء قد حدث فعلاً وهو موجود الآن بين أيدينا يهدف إلى ذاكرة مستقرة غير منسية فيعود يستعمل مفاهيم الذاكرة من أول القرآن إلى آخره.

والتذكر في هذه النظرية هي عملية استدعاء صور معينة إلى الذهن قد نسيت أو أهملت ومحيت من الذاكرة، لذلك فإن القرآن الكريم حرص على إعادة التذكير وأمر به ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾، وهي محاولة إعادة الصورة النافعة في القانون الإلهي المخير في اتباعه، وقال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فكل هذا التذكير هو استدعاء أو إعادة تمثل ، أو تصور الماضي والانتفاع به نحو أصل واحد هو الخير الشخصي والاجتماعي ، أي أنّ صورة المسلم في القرآن الكريم هي صورة إنسان بمعنى كلمة إنسان وفق الذاكرة بكل نظرياتها.

أمّا نظرية الذاكرة المباشرة فتقارب نظرية الذاكرة القرآنية وآياتها ، باعتبار أنّ القرآن الكريم هو الكتاب أو المدونة الملاصقة للفكر الإسلامي والإنساني، ﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِي وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾[2]، و﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾[3]، هذه الأمم ربما تحتفظ مباشرة بذاكرة واحدة لا حدود لها هي ذاكرة الدين وفكرته وقيمه الأخلاقية التكاملية، فإنّ أساس الذاكرة الدينية هو الروحانية الموازنة مع المادية، كلّ الأديان بل أغلبها، ما عدا السلبية منها المعتمدة على الروحانية المتصوفة والمتطرفة في التصوف.

فذاكرة الدنيا (الدنيوية) مطلوبة وذات أهمية بالنسبة للذاكرة الشخصية (النفسية) والذاكرة الاجتماعية والعلاقات مع الآخر المختلف معه.

الذاكرة النفسية تعتمد على ذاكرة واعية تعتمد السلوكيات الأخلاقية من الطاعة ، والانقياد للمعروف ونقد المنكر أينما حل ، والابتعاد عن الرذائل والمنكرات، قال تعالى:

(١) المرجع نفسه، نفس الصفحة.
(٢) سورة الأنبياء الآية ٢٤.
(٣) سورة الأنبياء الآية ١٠٥.

﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ﴾[1]، ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِي﴾[2]، وجملة من الآيات الدالة على الفضيلة كسلوك نفسي ينازع السلوكيات الأخرى المرادة أيضاً في الواقع الاجتماعي من طموحات شرعية أو غير شرعية من تحايل أو نوازع نفسية من الغيبة والنميمة وغيرها.

أصبح اليوم الكثير من المسلمين في ازدواجية متعالية في السلوك والتبرير المزدوج الفاضح خلاف الذاكرة القرآنية النفسية ولا يقبل التذكير من أحد، فسلوك المتطرفين والمتشددين في التدمير وصناعة الكراهية أعاد المجتمع المسلم إلى الانفصال والقطيعة مع الذاكرة القرآنية، في حين أنّ الذكرى تتشكل بفعل اطار اجتماعي وتتقيد بالإنسان ، وهي الذاكرة الجماعية التي انبثقت من الفرد، وكل ذاكرة فردية تحتاج بناء على ذلك، إلى اطار للتعلق الاجتماعي لتضرب بجذورها وتترسخ وتحافظ على ذاتها[3].

قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ وهي إشارة عظيمة لذكر أصل الخلق والتفكير في النفس الإنسانية ﴿أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾، وخلق الإنسان تفكر إنساني بعيداً عن المسارات الشخصية للفرد المعاصر مع غيره والمختلف معه في العقيدة والفكر والنظام، فهو مخلوق متحد في الأصل لا يمكن نكرانه في الكيفية والصورة.

والذاكرة الفردية المرادة هي صورة قرآنية ناصعة يحفّز عليها النص ويعدّها خاصية من خواصه ويبرز وجهها المشرق في الحوار والتعايش، وحتى في الصراع والنزاع الفكري والحربي هذا بطبيعة الحال ذاكرة القرآن وهي مختلفة عن ذاكرة المسلمين وتفاسيرهم الخاصة بهم، فإن القرآن يؤسس بشكل عام لذاكرة تنفع ولا تضر، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾[4]، فإن هذه النعمة ظاهرة وموجودة ومدركة في الماضي والحاضر سواء كانت مادية أو معنوية فهي ذاكرة لا يغادرها المؤمن في كل الأديان وتسمو في الأفكار غير الدينية أيضاً وما أنزل الكتاب إلاّ بالحكمة والفضيلة وهذه الذاكرة النافعة لكل الأمم والشعوب المختلفة لقاعدة اللطف البشري غير

(١) سورة إبراهيم الآية ٥.
(٢) سورة البقرة الآية ٤٠.
(٣) غرهرد هب وبيتر فين ورينيه فلدنفل، عميان عن التاريخ العرب وألمانيا النازية واليهود، ترجمة: محمد جديد، مراجعة: زياد منى، (دمشق: قدمس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م)، ص٣١١.
(٤) سورة البقرة الآية ٢٣١.

المختص بملة دون أخرى.

قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾(١)، وهي ذاكرة انتقالية من حالة الجهل وعدم المعرفة إلى الذاكرة العلمية المادية والروحانية، ذاكرة التقدم والحضارة.

فهدف الذاكرة القرآنية هي إعادة الفرد إلى أصله وكينونته، ولذلك فالذكرى تنفع وتعيد تشكيل الفرد المسلم مع نفسه ومع ربه ومع الآخرين، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾(٢)، وهناك عشرات الآيات تشير إلى الفكر النفسي والذاكرة النفسية المرادة في النص بصياغات جميلة ومعبرة عن ذات واعية ومتسامحة وخلوقة بأخلاق عامة وكلية ومعروفة ليس لها حدود زمانية أو مكانية، وخطاب الذاكرة القرآنية يركز على أولي العقول (الألباب) كثيراً ؛ لأنّ فاقد الذاكرة لا يخاطب بما فقده.

ويركز القرآن على البناء الشخصي والنفسي في تكوين وانتاج النموذج البشري الذي يعفو ويسامح ويتعايش مع الآخرين مع المقدرة والقوة، وكذلك ينسى ((والنسيان هو: الخلاص الممكن، وهو الأفق المفتوح أمام البشر من أجل التعايش بأخلاق التسامح، والسماحة والكرم والرحمة التي تقع على النقيض من استعمال الذاكرة واستغلالها ايديولوجياً وسياسياً))(٣)، وهذا بالفعل ما يريده النص القرآني من تأسيس لمفاهيم إنسانية غالبة، ولابدّ من خروج المسلمين من نفق الجزئية إلى الفضاءات المفتوحة، وذلك ما أشار إليه النص القرآني من خلق ذاكرة مفتوحة ويجب أنْ تكون كذلك ؛لأنّ النص من خالق واحد للعالم فلا يتصور منه الانغلاقية والخطابات الجزئية فلم تكن دعوة إبراهيم عليه السلام خاصة لقومه ، أو موسى عليه السلام، أو عيسى عليه السلام، أو خاتم الرسل صلى الله عليه وآله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾(٤)، وغيرها التي أشارت إلى الكتب السماوية الأخرى في وحدانية الهدف والغرض وتأسيس لثقافة التعمير لا التهديم.

وأشار القرآن الكريم إلى الذاكرة الجماعية بمفاهيم القوم، أو الانصار، أو المهاجرين أو غيرها من ألفاظ الجماعة، فذاكرة حب الجماعة وتعاونهم هي ذاكرة مشعرة بالبناء

(١) سورة البقرة الآية ٢٣٩.
(٢) سورة الإنسان الآية ١.
(٣) نادر كاظم، استعمالات الذاكرة، ص٣٨.
(٤) سورة الأنبياء الآية ١٠٥.

الاجتماعي أو هي الذاكرة الاجتماعية الكبرى، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[١] و﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾[٢] و﴿فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾[٣] و﴿رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٤]، فالذاكرة الاجتماعية القرآنية قد بنيت على نصوص قرآنية مؤسسة على القيم الأخلاقية المتوافق عليها عند كل البشر، بل يقومون لها إجلالاً وإكباراً وتعظيماً، ولو تتبعنا النصوص القرآنية لوجدنا ذلك صريحاً وواضحاً لا لبس فيه ، ولا غموض يخالف ما ظهر اليوم من أيديولوجيات مخالفة للذاكرة القرآنية، بل أنّها ظالمة للنص ومفرطة في مخالفته كبناء إنساني واجتماعي كُرّم فيه الإنسان لأنّه بناء الخالق لهذا العالم، إنّ الذاكرات المتجزءة من جزئية صغيرة ومن كيان كوني في بناء الإنسان هو التمزيق للرؤية الكونية العالمية للفكر القرآني وتشييد ذاكرته، وهو ما حصل للفرد المسلم من تشتيت لتلك الذاكرة الكبرى، واستعادتها جزئية وخصوصية مصحوبة بتاريخ الجزئية فقط.

وبهذا تكون المعرفة التاريخية (الذاكرة التاريخية) غير منفصلة عن المعاصرة، وهذا ما تبناه بنيديتو كروتشه (B.Croce) (١٨٦٦ – ١٩٥٢) من أنّ كل تاريخ هو في الواقع تاريخ معاصر؛ لأنّ كل عناصره من مصادر مكتوبة أو غير مكتوبة موجودة في الحاضر[٥].

وبهذا يكون النص القرآني معرفة مستدامة ، وذاكرة لا تمحى ولا تنسى ؛لأنّها أهم المصادر المكتوبة والمدونة لحظة نزولها وهي الوحيدة الآن التي وصلت إلينا تحمل توجيه السماء لأهل الأرض بقوانين كلية مفسرة من الدواخل والخوارج من هداة متخصصين بحملها دون غيرهم ليس على نحو السلب، بل أنّ أسرار هذه الذاكرة عندهم، ولا توجد بالكامل عند غيرهم فهم حفظة أسرار هذه القوانين وإشعاع لهذه الذاكرة المادية والإيمانية.

فالذاكرة القرآنية لم تدون من مؤرخ في مراعاة الزمن والأحداث المصورة، أي تصوير

(١) سورة الزخرف الآية ٤٤.
(٢) سورة النحل الآية ٤٣.
(٣) سورة البقرة الآية ١٩٨.
(٤) سورة ص الآية ٤٣.
(٥) قيس ماضي، المعرفة التاريخية، ص٢٧.

الحدث لا الحدث نفسه[١]، فالنص القرآني في رسم الذاكرة الواقعية والمستقبلية مبنية على رؤية كونية ولطف عام غير مختص بطائفة دون أخرى[٢]، قال تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾[٣]، والإنسان مطلق وفعل التذكر قد مضى أوانه حيث لا ينفع إلاّ اللوم والعتب ؛ لأنّ التذكر هو معيار الذهاب إلى الصواب والرجوع لفعل الخير المراد من استعادة التاريخ النفسي والاجتماعي ، وفقدان الذاكرة ليس فقط في الآخرة كموقف متحسر عليه فهو في الدنيا أيضاً، ولكن في الآخرة أعظم تحسراً.

إنّ حالات التطرف والتشدد هي حالات فاقدة للذاكرة وخاصة بالنسبة للمسلمين، واليوم نراهم قد فقدوا الذاكرة القرآنية المؤسسة لتاريخهم وثقافتهم وآدابهم إلاّ النزر القليل الذي لا يسمع صوته، وتحركت الجموع والأحزاب والكتل نحو مجد السياسة فضاعت أكثر المبادئ التي أسسها النص، فأصبحت تبريرية وتحايلية ومقاربات قرآنية مهزومة.

إنّ مصاديق الفكر القرآني عمل وفعل وإمضاء من حَمَلته الذين كُلفوا بتبليغه وإنْ اختلف في هذا العمل ، أو هذا الفعل ، أو هذا الامضاء، ولكن الجامع المشترك الموافق والمطابق للفكر هو المعيار الحقيقي لأصل النظرية وتكشف المخالفة من أثر معرفة الذاكرة النفسية والاجتماعية لهؤلاء الحملة وعلى رأسهم الرسول الأعظم ﷺ.

وفي ضوء قراءة الذاكرة التي يريدها النص تعيد الأمة نظراتها إلى نفسها وإلى الآخرين بروح التواجد في هذا الكون ككل من دون ازدراء أو تهميش لأحد، بل تعاون وتعارف وتعايش مع هذا الموجود المساوي ؛ لأنّ ذاكرة القرآن تؤكد العدل والعدالة والاستقامة والمحبة كعنوانات راسخة في فهم المراد من نصوصه حول الذاكرة وفهم المراد الديني، يذكر فرنان بروديل (Fernand Braudle) (١٩٠٢ – ١٩٨٥): أنّ الدين هو السمة الأكثر قوة، إذ يتموقع في قلب الحضارات، وهو ماضيها وحاضرها[٤].

(١) المرجع نفسه، ص٣٢.
(٢) للمزيد ينظر: محمد رضا القاموسي، من أوراق الشيخ محمد رضا المظفر، (بغداد: المكتبة العصرية، ٢٠١٣م)، ص١٨٧.
(٣) سورة الفجر الآية ٢٣.
(٤) بروديل، قواعد لغة الحضارات، ترجمة: الهادي التيمومي، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٩م)، ص٧٥.

وفي ضوء ذلك فإنّ الذاكرة شرط لا غنى عنه في الحياة الإنسانية الفاعلة، ومن ثم فهي جزء جوهري من الفكر الإنساني، فقد تشكلت بذاكرات متعددة منها[1]:

١- الذاكرة المتقطعة.

٢- الذاكرة الذاتية.

٣- الذاكرات الاجتماعية.

٤- الذاكرة الطوعية.

٥- الذاكرة الالزامية.

٦- الذاكرة الجمعية الدينية.

٧- الذاكرة الجمعية العائلية.

٨- الذاكرة الترقيعية.

٩- الذاكرة الشعبية.

١٠- الذاكرات المرضوضة (تجارب تاريخية حزينة).

١١- الذاكرة الزائفة.

ويربط نيتشه بين الذاكرة والإرادة، فإنّ الذاكرة البشرية المدفوعة بعنف ضد الإرادة المقتدرة وقوتها ستتفكك سبل فعاليتها، وهذه الذاكرة الفعالة هي بدقيق الألفاظ إرادة عودة المثيل[2]، ما يريده النص القرآني من ذاكرة هي ذاكرة الإيمان ، والإنسان الايجابي في عمره وعمر هذا المنزل الكبير للإنسان.

(١) طوني بينيت وآخرون، مفاتيح إصطلاحية، ص٣٤٤.

(٢) المولدي عزديني، نيتشه والنقد الجينالوجي، بحث طبع مع مجموعة بحوث بعنوان (الفلسفة الألمانية والفتوحات النقدية قراءات في استراتيجيات النقد والتجاوز)، إشراف: سمير بلكفيف، (بيروت: جداول للنشر والترجمة، ٢٠١٤م)، ص١٣٢.

١٧- الذاكرة والتاريخ في القرن العشرين الطويل دراسات في البحث والبحث التاريخي، (بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٠م).

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم هو القول الفصل.

* بول ريكور.

١- الذاكرة، التاريخ، النسيان، ترجمة: جورج زيناتي، (بيروت: دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٩م).

* دومينيك مانغونو.

٢- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م).

* الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ).

٣- المفردات في غريب القرآن، ضبط: هيثم طعيمي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

* رونتال ويودين.

٤- الموسوعة الفلسفية، وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، ترجمة، سمير كرم، مراجعة: صادق جلال العظم وجورج طرابيشي، (بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٦م).

* طوني بينيت ولورانس غروسبيرغ وميغان موريس.

٥- مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١٠م).

* ابن عيسى رغبوش.

٦- محاضرات، موقع علم النفس المعرفي الالكتروني.

* غرهرد هب وبيتر فين ورينيه فلدنفل.

٧- عميان عن التاريخ العرب والمانيا واليهود، ترجمة: محمد جديد، مراجعة: زياد منى، (دمشق: شركة قدمس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م).

* فرانسوا هارتوغ.

٨- تدابير التاريخانية الحاضرية وتجارب الزمان، ترجمة: بدر الدين عرودكي، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة: ٢٠١٠م).

* فرنان بروديل (ت١٩٨٥م).

٩- قواعد لغة الحضارات، ترجمة: الهادي التيمومي، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٩م).

* قيس ماضي فِرّو.

١٠- المعرفة التاريخية في الغرب مقاربات فلسفية وعلمية وأدبية، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٣م).

* لالاند، أندريه.

١١- موسوعة لالاند الفلسفية معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية، تعريب: خليل أحمد خليل، (بيروت: عويدات للنشر والطباعة، ٢٠٠٨م).

* محمد رضا القاموسي.

١٢- من أوراق الشيخ محمد رضا المظفر، (بغداد: المكتبة العصرية، ٢٠١٣م).

* مراد وهبة.

١٣- المعجم الفلسفي، (القاهرة: دار الثقافة الجديدة، ١٩٧٩م).

* المولدي عز ديني.

١٤- نيتشه والنقد الجينالوجي، بحث طبع مع مجموعة بحوث بعنوان: الفلسفة الألمانية والفتوحات النقدية قراءات في استراتيجيات النقد والتجاوز، إشراف: سمير بلكفيف، (بيروت: جداول للنشر والترجمة، ٢٠١٤م).

* ميري ورنوك.

١٥- الذاكرة في الفلسفة والأدب، ترجمة: فلاح رحيم، (بيروت: دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٧م).

* نادر كاظم.

١٦- استعمالات الذاكرة في مجتمع تعددي مبتلى بالتاريخ، (المنامة: مكتبة فخراوي، ٢٠٠٨م).

* وجيه كوثراني.